# مرتع الأبرار
# في
# التعليق على قرة الأبصار
## من سيرة المصطفى المختار


وضعه

الدكتور/ غالي محمد الحسين الشنقيطي

رحمه الله تعالى

تحقيق

الدكتور/ محمد أحمد سالم



دار القبلة للثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

دار القبلة للثقافة الإسلامية
المملكة العربية السعودية - جدة - ص.ب: ١٠٩٣٢ - الرمز: ٢١٤٤٣ - ت: ٦٦٥٢٤٠٦ / ٦٦٥٩٩٥١ / فاكس: ٦٦٥٩٤٧٦

# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقـــدمـــة

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستهديه ونستغرفه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله ، وأصلي وأسلم وأبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين ، والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

فقـد جعل الله تعالى محمداً سيد الخلق وخاتم النبيين، وجعل الإسلام خاتم الرسالات ، فجاءت عامة شاملة للناس كافة قال تعالى ﴿ ومـا أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ وخص الله سبحانه وتعالى ، سيدنـا محمداً عليه الصلاة والسلام بهذه الرسالة ، التى سبحت في أرجاء الأرض حاملة راية الإسلام إلى كل قلب في رحاب الأرض ، ومن مشرقهـا إلى مغربها ، فكان من الواجب على كل حريص تتبع سيرة النبي المصطفى عليه صلوات الله وسلامه لمافيها من الفضائل والمناقب والمآثر الجليلة ، وتتبع سيرته الخاصة من مولده ونسبه ونشأته ورسالته المحمـدية ، ومن هنـا إنطلق المؤلف رحمه الله في تَقَصِّي هذه السيرة العطرة للمصطفى المختار عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فكان هذا الكتاب المسمىٰ « مرتع الأبرار في التعليق علىٰ قرة الأبصار من سيرة المصطفىٰ المختار» .

وهذا التعليق متضمنٌ تاريخ وسيرة وحياة النبي ﷺ ، وبه نص « أرجوزة قرة الأبصار» ويأتي بعد ذلك التعليق علىٰ ما يختص بشرح هذه الأبيات . و « قرة الأبصـار» تتعرض لكل ما يخص النبى ﷺ من

زوج وولد وأهل، ويتتبع في سيرته أحداث طفولته وشبابه ونبوته ، وقصـــة الإسراء والمعـراج ، فيأتي بما يتضمن التعليق الـوافي والشرح الموجز ، فجزى الله المؤلف عن المسلمين خيراً ورحمه برحمته الواسعة إنه على كل شيء قدير، لما له من مآثر في خدمة العلم ، من كتب مؤلفة ومن شروح وتعليقات وأشرطة مسجلة للسيرة وغيرها .

ونسأل الله العلي القدير ، أن تعم الفائدة من الكتاب ، وجزىٰ الله خيراً كل من ساندني في طبعه وتحقيقه وتوزيعه وصلىٰ الله على سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم أجمعين .

محمد غالي الأمين الشنقيطي

## تعريف بصاحب الأرجوزة

هو عبد العزيز بن عبد العزيز اللمظي المكناسي الميموني ، كان نحـوياً وفقيهاً من فقهاء المالكية من أهل فاس، نسبته إلى قبائل البربر بأقصى المغرب .

نزل المدينة المنورة ، له ألفية في النحو وتفاسير على مختصر خليل في الفقـه ، وقـرة الأبصار في سيرة الشفيع المختار ، توفي ٨٨٠ هـ الموافق ١٤٧٥ م .

بسم الله الرحمن الرحيم

# تعريف بالشيخ غالي محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى

هذه كلمة موجزة للتعريف بالشيخ غالي محمد الأمين ولد آفا .

هو غالي بن محمد الأمين بن غالي بن عبدالله بن غالي بن سيدي بوبكر بن يوسف بن آفا بن قَرْ بن سيدي .

وهو من أولاد « الشويخ » المنتهى نسبهم إلى قبيلة « دليم » القبيلة العربية المنتشرة في شنقيط والمغرب والجزائر والصحراء الغربية وهذه القبيلة من بنى حسّان[1] الذين ذكرهم العلامة ابن خلدون في تاريخه .

وُلد الشيخ غالي رحمه الله تعالى بمدينة / تمبدغة من مدن موريتانيا عام ١٣٥٣هـ ونهل عند بلوغه سن الدرس من العلم الكثير المتوفر في بلاد شنقيط في مدارسها التقليدية التي يسمّونها « المحاضر » ودرس طبعاً على شيوخ من أسرته وعلى غيرهم ثم رحل في عنفوان شبابه بعد أن كون حصيلة جيدة من علوم القرآن والفقه واللغة إلى غير ذلك من العلوم وكان متمرساً جداً في اللغة العربية وآدابها وكذلك في المغازي والسير وأيام العرب والتراجم والتاريخ العربى عموماً . رحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج واستقر في المدينة المنورة والتحق بالجامعة الإسلامية زمن إنشائها حيث كان أحدُ أساتذتها شيخه العلامة الشيخ

---

( ١ ) نسب حسّان : حسّان بن المختار بن محمد بن عقيل بن معقل بن موسى بن الهداج ابن جعفر الأمير بن ابراهيم الأعرابي بن محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب .

محمد الأمين بن محمد المختار الجكني رحمه الله تعالى ، فتخرج من كلية الشريعة وزاول التعليم حيث كان قدره أن يكون معلماً وكان سعيداً بتوصيله للعلم الذي يتقنه فتراه يزاول التدريس في بيته دائماً وقد حصل بعد ذلك على درجة الماجستير من المعهد العالي لجامعة الإمام محمد ابن سعودالإسلامية ثم عمل بعد ذلك موجهاً للتربية الإسلامية بإدارة التعليم بمنطقة المدينة المنورة وكان يرهق نفسه في التدوين والتسجيل حيث كون مكتبة إسلامية من الأشرطة المسجلة بصوته مسجلاً عليها شرحه ألفية ابن مالك في النحو حيث مزج فيها بين شرح ابن عقيل وابن هشام والأشموني وزاد عليهم شروح العلماء الشناقطة كابن بونا الجكني وغيره ولديه تسجيلات أخرى في المغازي والسير وكراريس لازالت مخطوطة عسى الله أن ييسر طبعها حيث إنها لم تطبع في حياته رحمه الله .

وقد كان دائم الذكر والعبادة إلى أن نطق بالشهادتين عند وفاته في مدينة جدة بتاريخ ٢٤ / ١٠ / ١٤٠٩هـ موصياً بدفنه بجوار المصطفى ﷺ بالبقيع ليرقد بقرب صحابة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته آمين .

# مرتع الأبرار
## تعليق على قرة الأبصار

الحمد لله الذي بأحمدا ... هدى إلى أقوم نهج من هدى
حمداً جديداً دائم البقاء ... مكافئاً ترادف الآلاء
ثم الصلاة والسلام تترى ... على أجل المرسلين قدرا
وآله وصحبه ومن سلك ... سبيلهم ما دار نجم في فلك
وبعد فاعلم أن خير ما اقتفي ... ذوهمة سيرة خير مقتفى
وها أنا أذكر في هذا الرجز ... من ذاك مافيه سدادٌ من عوز
لمبتغي التحصيل من أولي الهدى ... عسى بنفعهم به أن أرشدا
سميته بقرة الأبصار ... في سيرة المشفع المختار
مرتباً له على الأبواب ... مقرباً مقاصد الطلاب
ومن مُمِدّ الكون من إنعامه ... استوهب العون على إتمامه
والنفع للراوي وللمرويِّ ... عنه بجاه المصطفى النبي
عليه أزكى صلوات الباري ... وآله وصحبه الأبرار

## نسبه صلى الله عليه وسلم :

أخبر المؤلف في هذا الباب عن نسب المصطفى ﷺ المحفوظ وذكر أنه محفوظ إلى عدنان بالإجماع وأما ما فوق عدنان فمشكوك في لفظه وفي عدده ولذلك تركه ، ولكن المؤلف ذكر أجداده ﷺ مشيراً لكل واحد بالحرف الأول من إسمه ، ولكن ناظم عمود النسب ذكرهم بقوله :

النسب الذي عليه اتفقا ... كل الورى إذْ بالنبي أشرقا
أحمد عبدالله عبدالمطلب ... وهاشمٌ عبدمناف المنتخب
ابن قصي بن كلاب مرة ... كعبٍ لؤي غالب للغرة
فهر بن مالك ونضر ذو السِّكة ... كنانةٌ خزيمة ومدركة
الياسها مضرها نزار ... معد عدنان انتهى الأخيار
مافوق عدنان من أجداد النبي ... نسب من ينسبه للكذب
وانعقد الإجماع أن أحمدا ... كان لنوح ولشِيْثَ ولدا
مافوق عدنان وما دون الذبيح ... من حاملي نور نبينا الصحيح
في عده وفي التلفظِ بهِ ... خلف تركنا ذكره لريبهِ

كما سيذكر المؤلف أن شيبة وهو عبدالمطلب رأى في النوم أن آتياً قال له : احفر بئر زمزم فإنها بئر لاتنضب وتكررت الرؤيا إلى المرة الثالثة وإذا بالآتي يقول له : فإن مكانها في مكان الفرث الذى ستلقيه قريش من ناقة تنحرها للأصنام ويأتي الغراب الأعصم فينقر فيه فتأكد أن هذه الرؤيا صحيحة ثم قام بعماله يحفر بئر زمزم فصارت قريش تهزأ منه وتضحك فلما تبين له فم البئر وإذا ببعض كنوزه ومن

هذه الكنوز غزالاً من الذهب أهدتها الفرس للبيت الحرام وكنوز أخرى وأشياء أخرى خبأها جرهم في زمزم عندما أرادوا الجلاء عن مكة ، فحينئذ جاءت قريش ومنعت عبدالمطلب من حفر البئر وقالوا : هذه البئر بئر جدنا قصي وهي بيننا وبينك فعند ذلك نذر عبدالمطلب إن أعطاه الله عشرة من الأولاد لأنه كان واحداً عند أبيه أنه يتقرب إلى الله بذبح واحدٍ منهم وهذه القربى بذبح الأبناء كانت موجودة في الديانات السابقة كما أراد ابراهيم عليه السلام بأمر من الله أن يذبح ابنه اسماعيل تقرباً إلى الله ولما اشتد خصام قريش على عبدالمطلب قرر أن يذهب معهم إلى كاهن بنجد يحتكمون عليه فلما توسطوا الصحراء نفد الماء الذي كان مع عبدالمطلب وغلامه فطلب من وفد قريش أن يعطوه ماء وقالوا : نتركه حتى يقتله العطش هو وغلامه فيكون ذلك حكماً لنا عليه ، ولما اشتد العطش على عبدالمطلب أمر غلامه أن يحفر حفرتين ودخلا فيهما- دخلا في الحفرتين -فلما مكثا كثيراً قال عبدالمطلب لغلامه : لافائدة من مكثنا هنا حتى الموت فخرج عبدالمطلب من الحفرة وإذا بالسماء تهللت وإذا بها تمطر مطراً غزيرا شرب منه الكل ، فقالت قريش : هذا والله حكم من الله علينا لعبدالمطلب فقرروا أن لاينازعوه وعادوا .

فلما أكمل الحفر أخذ ما في البئر من كنوز واقتسمها كرماً وفضلاً منه مع قريش ، ولما رزق عبدالمطلب عشرة أولاد وأراد أن ينفذ نذره في عبدالله والد النبي عليه الصلاة والسلام وهو أصغر أبنائه حالت بنو مخزوم بينه وبين ذلك لأن عبدالله أمه فاطمة بنت عمرو المخزومية وقالوا

له : اذبح أحد أبنائك الآخرين والله لاتبكى بنتنا على ولدها فذهب عبدالمطلب إلى كاهن بخيبر واستأمره ماذا يفعل ؟

فقال له : اقترع على ابنك وعشرة من الإبل فإن وقع سهم الموت على الإبل فانحرها عن ابنك ، فاقتسم عبدالمطلب على عشرة من الإبل وعلى ابنه فوقع سهم الموت على ابنه فزاد عشرة واقترع فوقع سهم الموت على ابنه حتى اكتملت مائة ناقة فوقع سهم الموت على الإبل فنحر الإبل فدية لابنه عبد الله ومن هنا نفهم معنى قول النبي ﷺ : « أنا ابن الذبيحين » فالذبيح الأول اسماعيل عندما رأى والده إبراهيم ـ عليهما السلام ـ في المنام أنه يذبحه وفداه الله بذبح عظيم .

والذبيح الثاني هو عبدالله بن عبدالمطلب الذي فداه الله أيضاً بمائة ناقة فنحرها والده عنه وصار ذلك سنة في دية أمة محمد ﷺ ، كما أشار المؤلف في آخر الباب إلى خلاف العلماء في ثاني الذبيحين . فالذبيح الأول عبدالله بلا خلاف والذبيح الثانى اختلف العلماء هل هو اسماعيل كما ذكرنا من قبل أم هو اسحق واستدل المختلفون بأدلة متكافئة كلها من الكتاب والسنة حتى نشأ من الاستدلال بهذه الأدلة المتكافئة قول ثالث للزجاج وهو التوقف وعدم معرفة من الذبيح الثاني .

قال المؤلف في هذا كله :

بيان نسبة النبي المصطفى صلى عليه ربنا وشرفاً
ونسب المختار محفوظ الى عدنان بالإجماع عند الفضلا
وها أنا أشير لاسم كل منهم بحرف منه مستقل
مع شهٍ عقٍ كمٍ كلغفمن كخمٍ أمٍ مع إلى هنا زكن

وشيبة إذ بئر زمزم حفر ... همت بمنعه قريش فنذر
إن جاءه من البنين عشرة ... يحمونه من البغاة الفجرة
لينحرن واحدا تقربا ... به فلما رام نحره أبى
منه قريش فمضى لخيبرا ... مستأمراً كاهنها فأمرا
أن استهم عليه والآبال ... فإن عليه خرجت في الحال
فزد عليها عشرة واقترعا ... حتى إذا السهم عليها وقعا
فانحر فإن ربه قد رضيا ... بأنها له فداء فعيا
ففعل الذي به قد أُمرا ... حتى انتهت لمائة فنحرا
من بعد ضربها ثلاثاً وهى لا ... تعد العشار الكوم فيما نقلا
فكان والد النبي المفتدى ... بمائةٍ فداؤه من الردى
وكان ذاك سنة في أمته ... عن نفس كل مؤمن في ديته
والخلف في ثاني الذبيحين ورد ... فجلهم اسحق وهو المعتمد
وقال قوم : هو اسماعيل ... وكل قول فله دليل
ثالثها الوقف عن الزجاج ... فأسلك سبيلاً غير ذي اعوجاج

**مولده ﷺ : وكان سنة ٥٧٠ ميلادية**

سيذكر المؤلف في هذا الباب أن النبي عليه الصلاة والسلام حملت به أمه آمنة بنت وهب الزهرية حملت به في رجب الفرد ـ وسمى بالفرد لأنه واقع بين جماديين وشعبانين ـ فجماد الأولى والثانية وشعبان الأول هو شعبان وشعبان الثاني هو رمضان فوقع رجب بينهما فسمى برجب الفرد ـ وأم آمنة الزهرية برة بنت عبدالعزى ، قال عمود النسب في ذلك

وأمُّ أمِّ المصطفى إذ تعزى  برة بنت القرم عبدالعزى

وكان حملها به في دار والدها وهب وقيل إنه كان فى الشعب .

ويروى أهل السير أن عبدالمطلب لماذهب يهنّئُ سيف بن ذى يزن في استرجاع ملكه على اليمن من الحبشة أنه رأى في وجهه نور نبي آخر الزمان فأمره أن يتزوج من بنى زهرة وإذا كان له ولد يزوجه من بنى زهرة أو من بنى مخزوم لأن الكتب القديمة فيها أن خؤولة نبي آخر الزمان في بني زهرة وبني مخزوم فلما عاد عبدالمطلب تزوج هو من بني مخزوم وعبدالله من بني زهرة وعندما ذهب يخطب له آمنة الزهرية مر على امرأة من بني عامر كانت تبيع الجلود وكانت تقرأ في الكتب القديمة فرأت نور نبي آخر الزمان بين عيني الشاب عبدالله بن عبدالمطلب فدعته وسألته قال : إنه ذاهب مع أبيه ليخطب آمنة بنت وهب الزهرية فقالت له : كم ستمهرها ؟ قال : كذا . كذا من الإبل . قالت : وأنا سأعطيك ضعفي ما ستعطيه لآمنة بنت وهب وتعال فقع علي وكان ذلك من الزواج في الجاهلية عندهم . فقال عبدالله في ذلك الوقت :

أما الحرام فالممات دونه  والحل لاحل فأستبينه

فكيف بالأمر الذى تبغينه  يحمي الكريم عرضه ودينه

فلما ذهب مع أبيه وعقد له على آمنة ودخل عليها ذهب عبدالله يوماً إلى السوق الذى رأى فيه العامرية ومر عليها وعرض نفسه بطريق غير مباشر لعلها تدعوه إلى ما دعته اليه من قبل فتردد مرتين أو ثلاثة كل ذلك ترفع وجهها فيه ثم تعيد بصرها إلى بضاعتها وفي النهاية قال لها : هل لك فيما دعوتيني إليه بالأمس ؟

فقالت له : ذهب النور الذي كان معك ثم قالت في نفسها : لقد فازت والله به آمنة بنت وهب الزهرية .

وكان مولد النبي عليه الصلاة والسلام بعد حادثة الفيل بخمسين يوماً وكان في يوم الإثنين في شهر ربيع واختلف هل هذا اليوم الثامن أو من الثانى عشر من ربيع الأول ـ الربيع النبوي ـ أو كان اليوم الثامن من ربيع الآخر أو كان الثالث عشر من ربيع الأول وكان ذلك فى وقت النيسان ـ أى في وقت معتدل بين البرد وبين الحر ـ وكان ذلك في عام جفظ علي الرأي الصحيح بإبدال الحاء بالجيم الذي وقع في بعض الروايات وذلك يوافق سنة ثمانمائة وثلاث وثمانين من التاريخ الإسكندري وكان الطالع في ذلك الوقت الجدي وكان كوكب المشتري وكوكب زحل في السماء وكلاهما في مداره البعيد عن الآخر فزحف بعضهما إلى الآخر وتعانقا وتقارنا مع العقرب في وسط السماء وكانت تلك علامة واضحة في مولد نبى آخر الزمان عرفه بها اليهود والذين قرأوها في التوارة وفي الكتب القديمة وفي هذه الليلة غاصت بحيرة ساوى التى كان الفرس يعبدونها ، وفي هذه الليلة خمدت النار التي كان المجموس في فارس يعبدونها والتي قيل إنها ظلت تشتعل ألف سنة أو ألفى سنة ولم تخمد ، واهتز قصر كسرى حتى تصدع وتساقطت شرفاته وأصيب الملوك في الدنيا في تلك الليلة ـ الملوك في فارس والملوك

في الروم والملوك في اليمن والملوك في الحبشة والملوك في مصر- أصيبوا بالخرس في تلك الليلة فلم يستطع واحد منهم أن يتكلم وأما الأصنام فتناكست وأصبحت عاليها سافلها ، هذه كلها علامات حصلت ليلة مولد النبى ﷺ وأشار لها المؤلف بقوله :

بيان مولد النبي المجتبى صلى عليه الله ماهب الصبا
وحملت آمنة الزهرية طوبى لها بأكمل البرية
في رجب الفرد بدار وهب والدها وقيل بل بالشعب
وكان مولد النبي الهادي صلى عليه بارئ العباد
عام قدوم الفيل للأقوام بإثر خمسين من الأيام
في يوم الإثنين من الشهر الأعز في ثالث الشهر أو الثاني عشر
أو لثمان من ربيع الأول موافق النيسان عند الأول
في عام جفظ من سني الإسكندر بطالع الجدي وكان المشترى
مع زحل في وسط السماء فقارنا بالعقرب الغراء
فغاضت المياه والنيران قد خمدت وانصدع الإيوان
وخرس الملوك والأصنام تناكست فما لها قيام

## موت والد النبي ﷺ وذكر مرضعاته

سيذكر المؤلف في هذا الباب أن عبدالله والد النبي ﷺ مات ورسول الله ﷺ حمل في بطن أمه وكان عبد الله مسافراً إلى الشام في تجارة فمر بأخواله بني مالك بن النجار في المدينة المنورة ونزل عندهم فأصابته الحمى فمات في المدينة المنورة ودفن في دار مالك بن النجار التي كانت قرب حصن مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري ، وذكر المؤلف في هذا الباب أيضا :

## مرضعاته ﷺ وحواضنه :

ومن هذه المرضعات حليمة السعدية وهي امرأة من هذيل زوجها الحارث بن عبدالعزى بن رفاعة السعدي وابنها منه عبدالله وبنتاها منه الشيماء وأنيسة وكلهم أكرمهم الله بالدخول في الإسلام فيما بعد ذلك ، وجاءت حليمة السعدية هذه مع نسوة من بني سعد إلى مكة يلتمسن الرضعاء من بني قريش وهذه كانت عادة العرب من حول مكة يُرسل العشائر نسوتهم إلى أهل مكة وأثريائها فيأخذون أولادهم للرضاع في البادية والتربية في البادية ليتعلموا القوة والشجاعة وجاءت حليمة على أتان هزيلة كانت تتأخر عن صواحبها ومعها ومع زوجها شارف من الإبل يحلبون منها الشيء النزر القليل جداً من اللبن لايكاد يروي بطن واحد منهم وكان ابنها يبكي طول الليل من شدة الجوع لقلة الحليب في ثدييها فلما جاء النسوة إلى مكة أبى أشراف قريش وأثرياؤهم عن حليمة لفقرها وأبى النسوة اللاتي جئن معها عن محمد لأنه في نظرهم يتيم وهن إنما يردن إكرام آباء الأطفال الذين يأخذنهم وهكذا بقيت حليمة بدون طفل ترضعه وبقي محمد بدون مرضعة فقالت حليمة لزوجها : إني سوف أعود لذلك اليتيم فآخذه ولعل الله أن يجعل لي فيه بركة وذلك أحسن عندي من الرجوع إلي قومي بدون طفل أرضعه . فقال لها اذهبي إليه فجاءت إلى جده عبدالمطلب وهو جالس أمام الباب وأخبرته أنها تريد الطفل فتأخذه فقال لها : ادخلي عليه فإنه نائم فدخلت عليه وهو نائم فلما رأت وجهه يتلألأ نوراً هابت أن توقظه من النوم فتحرك ﷺ وحده وابتسم في وجهها ابتسامة خرج منها نور إلى السماء وانبعث منها حبه إلى قلبها فأخذته ملففا في مهد أبيض وضمته إلى صدرها ثم خرجت به وركبت أتانها وذهبت مع صواحبها قافلات

إلى ديارهن وإذا بأتان حليمة تسبق الأُتُن جميعاً فيقول النسوة : ياحليمة أليست هذه أتانك بالأمس ؟ فتقول بلى فيقلن لها : إن لأتانك اليوم لشأنا . فتقول الأتان ـ ولم تسمع إلا حليمة ـ : نعم إن لي لشأناً على أفضل الناس جميعا أوحمل على أفضل الناس جميعاً ، فلما بتن في الطريق ذهب زوجها إلى الشارف ( الناقة التي ما تكاد تبقي بقطرة من الحليب ) فأثارها ومرح على ضرعها فحفلت بالحليب فحلب وشرب حتى روي بالحليب وتأوه وقال : منذ زمن طويل لم أشبع من الحليب ، فحلب وأعطى لحليمة فشربت حتى رويت . وكانت حليمة عندما ركبت أتانها وأعطت ثديها لمحمد عليه الصلاة والسلام تشخب ثدياها بالحليب فرضع النبى ﷺ من ثديها اليمنى حتى روى فأدارته إلى اليسرى لتسليه فيها فأبى عنها لأن لها طفلاً آخر شريكاً له والنبي عليه الصلاة والسلام جبل على العدل فلم يأخذ ثدي أخيه الآخر ، فلما رويت حليمة من الحليب ونامت ونام طفلها قام زوجها في منتصف الليل وقال لها : ياحليمة تدرين والله لقد أخذت نسمة مباركة ألا ترين أنى نمت وأنا ريان من الحليب وأنت شبعانة وطفلنا بدين وهذا شيء طال عهدنا به فذهبت به إلى ديارها ومنازلها وكانت لها غنيمات أحلّ بها الجفاف كما أصاب أغنام الحي معها وفي أول يوم جاءها رسول الله ﷺ ـ الطفل المسترضع عندها ـ راحت غنيماتها شبّعاً ضُرّعا فحلبت منها حتى رويت هي وأطفالها ففطن الناس لهذا فصاروا يقولون لرعائهم : ارعوا غنمكم حيث ترعى غنم حليمة السعدية فصاروا يرعون أغنامهم معها فتروح أغنامهم هزيلة كما كانت وتروح غنيمات حليمة شبّعا ضرّعا فعرف الناس البركة في هذا الرضيع حتى صاروا يأتون بمرضاهم إلى حليمة ويقولون لها : خلي ولدك

يمسح لنا على مرضانا فيمسح عليهم فيشفيهم الله جميعا .

كما ذكر المؤلف أن النبي علية الصلاة والسلام في السنة الثانية من عمره وشهرين شق صدره وذلك أنه كان يلعب مع إخوته من الرضاع - أبناء حليمة - وإذا برجلين ثيابهما بيض يقدمان عليه فأخذه أحدهما وقال للأخر : أهو هو؟ فقال : نعم ، فأضجعاه على الأرض وشقاه ففزع إخوته وهربوا إلى أمهم وأبيهم وقالوا : إن أخانا القرشى أخذه رجلان وأضجعاه يريدان به شرا . ففزعت حليمة وزوجها وذهبا مسرعين فوجدا محمد قائماً منتقع اللون معه أثر الفزع فأخذته حليمة وقالت : ياابنى محمد لابأس عليك ما بالك ؟ فقال : جاءني رجلان فأخذني أحدهما وقال : أهو هو؟ فقال له الآخر : نعم . فأضجعاني وشقا بطني وأخرجا قلبي وفتحاه وأخرجا منه مضغة سوداء وغسلاه وحشياه .

هكذا محمد الطفل الصغير في السنة الثانية والشهرين من عمره يروي هذه القصة رواية جيدة على الرغم من صغر سنه فخافت حليمة من أن يكون لمحمد أو لأهل محمد أعداء وأهل ثأر فقررت أن تعيده إلى أمه وقد كانت جاءت به قبل شهرين فقط عندما أعادته إلى أمه بعد انتهاء سنتي الرضاع . فقالت لها : اتركيه معي إني لا أحب فراقه . فعادت به ، وإذا بها من بعد شهرين تعيده إلى أمه . فقالت لها أمه : ماهذا ياحليمة كنت متعلقة به قبل شهرين والآن تعيدنه ؟ قالت : نعم ، قالت : ماذا رأيت ؟ قالت : لاشيء فالتفتت إليها وقالت : ياحليمة أتخشينْ على أبني من الجن ؟ والله لن يصله سوء ، فروت لها القصة وتركته عندها . وشق صدره أيضا عند البعثة وعند الإسراء به ، والصحيح أن شق الصدر والإسراء والمعراج من خصوصياته .

ثم توفيت أمه وعمره أربع سنين وكانت ذهبت به إلى أخواله في المدينة ( أخوال أبيه ) وعادت وفي طريقها في الأبواء وهي قرية شرقي مستورة بحوالى خمسة وعشرين كيلو مترا ، وقبرها بالأبواء معروف حتى الآن عند العشائر الذين يسكنون هناك فواصل النبي علية الصلاة والسلام قفوله ومعه جاريته بركة حتى جاء إلى مكة وأصبح بعد ذلك في كفالة جده عبدالمطلب وكان جده يحبه جداً وكان النبي عليه الصلاة والسلام يصبح من النوم دهين العينين اكحلهما بينما الأطفال في مكة يصبحون رمص العيون وكان لايتهيب ولايخاف وكان عبد المطلب توضع له تكرمة حول الكعبة فيجلس ولا أحد يجلس بالقرب منه فيدخل محمد يشق صفوف أشراف قريش فيزجرونه ليرجع كالأطفال فيقول لهم جده عبدالمطلب : دعوه إن لابنى هذا لشأنا حتى يجلس مع جده ثم توفي جده وعمره ثمان سنين وأصبح في كفالة عمه أبي طالب شقيق أبيه ويقول أبوطالب أن محمداً عليه الصلاة والسلام : كان في أدب رفيع فإذا وضع الطعام تسابق الأطفال لنهبه وأكله فيظل محمد جالساً لايمد يده إلى الطعام ويبتسم من نهب أبناء عمه للطعام حتى يقول له عمه ياابنى محمد كل فيأخذ لقيمات قليلة فلما رأى عمه أنه بطيء في الأكل أراد أن يخصه بطعام مستقل فغضب الطفل وقال : ياعم إنهم اخوتى فكيف تفردنى عنهم بطعام ؟

ولما بلغ عمره أربع عشرة سنة أراد عمه أن يسافر في تجارة إلى الشام فتعلق به وبكى عليه فتشفعت له فاطمة بنت أسد زوجة عمه فقرر أن يأخذه معه فلما وصلا إلى بصرى من قرى الشام نزلت العير تحت شجرة لا ظل فيها وإذا بها تورق وتمد القافلة بالظل وإذا فيها شخص يميل معه الظل كلماتحرك وكان بالقرب من ذلك راهب

نصراني من آخر من بقي على الدين الصحيح ـ على دين عيسى عليه السلام ـ وقد نظر إلى شخص في القافلة تظله السحب إذا خرج ونظر إلى الشجرة وإذا بها أورقت ونظر إلى شخص فيها إذا تحرك مال الظل معه فعرف هذه العلامات في نبى آخر الزمان فنزل بحيرى من صومعته فتعجب الناس لأن هذا الراهب ما خرج عن صومعته قط وجاء وقال : يامعشر قريش انتم ضيوفنا وغداؤكم عندي فقالوا : عجيب الأمر منذ كذا سنة ونحن نمر وننزل فلم تدعنا يوماً واحداً للغداء فقال : على كل حال أنتم ضيوفي ولايتخلف أحد عن طعامي ، فصنع لهم طعاماً فجاءوا وتركوا محمداً الغلام الطفل الصغير يحفظ المتاع والجمال فلما جلسوا على المائدة نظر بحيرى الراهب ـ يُقال بَحيرى بالتكبير وبُحيرى بالتصغير ـ فلم يجد العلامات التى ينتظرها لنبى آخر الزمان فقال : يامعشر قريش تفقدوا أنفسكم حتى لايتخلف أحد عن طعامى . فقالوا : لم يتخلف منا إلا طفل صغير . فقال : أليس هو من أشرافكم ؟ فقالوا : والله هو ابن ساداتنا ، فأخذها بحيرى علامة أولى عنده لأن نبي اخَر الزمان يبعث في أشرف نسب من قومه فقال أحد القرشيين : من العار علينا أن نأكل وابن عبدالمطلب لايأكل معنا فأرسلوا إليه فلما أقبل ورآه بحيرى رأى وجهه أزهر يتلألأ مع الشمس ورأى جبينه ورأى عينيه وحاجبيه وأهداب عينيه وابتسامه عن أسنانه المفلجة فتأكد تماماً أن هذه الأوصاف هي التى ذكرها الله في التوارة عن نبي آخر الزمان فجاء محمد وجلس وأكل وبعد انتهاء الأكل قال بحيرى : هذا الطفل من أبوه فيكم ؟ قالوا : أبوه أبوطالب قال : كلا والله هذا الطفل لم ير أباه قط . فقالوا : هو عمه فقام بحيرى مع أبي طالب وقال له : استأذنك في الكلام مع ابن أخيك فاستدعاه له

فقال : يامحمد أناشدك باللات والعزى اكشف عن كتفك الأيسر فقال محمد : لقد ناشدتنى بأبغض الأشياء إلى نفسي فأخذها بحيرى علامة ثانية لأن نبي آخر الزمان في الكتب القديمة ينشأ على كراهية الأصنام فقال له : إذن أناشدك الله فكشف له عن كتفه الأيسر وذا بخاتم النبوة عليه، وخاتم النبوة يشبه زر الحجل وزر الحجلة عبارة عن ثآليل ناتئة بين عيني طائر الحجلة وهو طير صغير يشبه الدجاج عبارة عن ثآليل قليلا وحُمْرَ اللون كأنها حلية وكأنها ذهب ـ فلما رأى بيحرى هذا الخاتم انكبّ عليه يقبله ثم قال لأبي طالب : ارجع بابن أخيك إني أخشى عليه اليهود إنهم يعرفونه كمايعرفون أبناءهم . فقرر أبوطالب أن يعيد ابنه من ذلك المكان وما إن قفل عن بحيرى هو ومحمد عليه الصلاة والسلام إلا وركب من اليهود أقبل فعرف بحيرى أنهم يبحثون عن نبي آخر الزمان فناداهم فقال : إلى أين يايهود ؟ قالوا : نريد رجلا يمر من هنا هذا اليوم سيقتلنا قتل عاد وثمود وهو من العرب ونعرف أوصافه وفي التوراة أنه يمر اليوم من هنا وما نراه إلا ذلك الشاب المدبر مع ذلك الرجل فقال بحيرى : ويلكم إن ذلك الشاب من قريش وقريش مكان التكريم من العرب جميعاً فلو وصلتموه بسوء لقام العرب على اليهود فى جزيرتهم فذبحوهم ثم قال لهم : ومن أخبركم بهذا ؟ قالوا : موسى والتوراة . قال لهم : وهل تعتقدون أن موسى والتوارة يكذبان ؟ قالوا : لا . قال لهم إذاً فارجعوا فلا حاجة لكم بزرع العداوة في قريش الذين تجلهم العرب جميعاً وعادوا وعاد النبي صلى الله عليه وسلم سالما إلى مكة .

وبعد أن وصل محمد ﷺ ستاً وعشرين من عمره تزوج خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقد أمهرها على الرأى الصحيح بأثنتى